لابد من دين الله لدنيا الناس

لإمام المسلمين الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

عودة يوم الهجرة للنفوس المؤمنة ، كعودة الربيع للجسوم الحية . فالربيع ينشر فى الكون الحياة والجمال ، فيتجدد البالى ، وينتعش الذاوى ، ويبتهج الكئيب ؛ ويوم الهجرة ينشر فى القلوب النور والجلال ، فيقوى الخائر ، ويهتدى الحائر ، ويتذكر الغفلان . وإذا كانت الحواس لا تنتفع بالربيع إذا لم تكن شاعرة ، فإن النفوس كذلك لا تنتفع بمعنى الهجرة إذا لم تكن ذاكرة . والذكرى تنفع المؤمنين إذا اقتبسوا منها الهداية والتمسوا فيها العظة ؛ أما إذا كان قصارى أمرنا فى الاحتفال بحوادثنا الكبرى ، وشخصياتنا العظمى ، أن نكتب ونخطب فما أصبنا الغرض .

إن ذكرى الهجرة هى ذكرى وضع الأساس لهذا البناء الإسلامى الشامخ الذى انبسط ظله على أكثر الأرض ، وانتشر نوره فى ظلام الوجود ، وأوت الإنسانية منه إلى ركن شديد بالعلم ، أمين بالعدل ، منيف بالحضارة ؛ فالمسلمون أحرياء أن يجعلوا احتفالهم بهذه الذكرى العظيمة تقديساً للدين الذى كانت فى سبيله ، وتمجيداً للمبدأ الذى قامت عليه ، وتأييداً للشرع الذى تكشفت عنه . وتقديس الدين هو الانقياد له ، وتمجيد المبدأ هو الإخلاص فيه ، وتأييد الشرع هو العمل به . وما كان الناس فى عهودهم الخالية بأحوج إلى هدى الله منهم فى هذا العهد ؛ فقد طغت فيه المادية على الشعوب حتى تعادت ، وأفرطت القوة على الدول حتى تفانت ، وغرورت المذاهب الإلحادية بالأفهام السقيمة فلبّسوا على الناس الحق ، وشبهوا على القادة الطريق ، حتى زُلزلت الأرض بمن عليها ، وخشينا على صرح المدنية والفضيلة أن ينقضّ

ذلك إيذان من الله للناس بأنهم فسقوا عن أمره فحاقهم رحمته ، وحادوا عن سبيله فحق عليهم عذابه . « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

لا يكشف عنا ما غشينا من هذه النقمة العميمة إلا العمل بشريعة الإسلام والاحتفاظ بتقاليد الشرق الصالحة . والرجوع إلى شرع الله فى أمور الدنيا من بدائه العقل وموجبات الفطرة ؛ لأن الله جلت قدرته هو الذى خلق الناس ودحا الأرض ، فهو أعلم بغرائز خلقه وأسرار كونه ؛ وهو أعلم بما سينشأ عن تصادم الغرائز من نزاع ، وما سيشتد على خيرات الأرض من تنافس ؛ وهو أعلم بما سينتجه تفاوت الناس فى القدرة والحيلة من بغى الأقوياء على الضعفاء ، وجور الأغنياء على الفقراء ؛ فشرعه وهو الخبير البصير حقيق أن يكون حلاً حاسماً لمشكلات الحياة ، وعلاجاً شافياً لأدواء المجتمع ، ودستوراً جامعاً تنتظم عليه شؤون الأفراد وأحوال الأمم فى كل أرض وفى كل عصر وفى كل جنس . أما تشريع الناس للناس فهو عرضة للنقص أو للخطأ من جهة الجهل أو من جهة الهوى أو من جهة التطبيق ؛ وهو إن صلح لعصر لا يصلح لغيره ، وإن أفاد فى أمة لا يفيد فى أخرى . فما بالنا ندَع حكم الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم نحكّم فى أنفسنا وأموالنا وأحوالنا شرائع قد لا تتفق مع عقائدنا ، ولا تأتلف مع عوائدنا ، ولا تستطيع أن تحيط بما أحاط به الله من خفايا الصدور ومفاجآت الغيب ؟ !

لا يزكو بأهل الفضيلة أن يولوا وجوههم شطر المغرب يأخذون عنه من المذاهب والنظم والتقاليد ما أضلّ به أهله . إنما النور فى الشرق مطلع الأديان ، والهدى فى شريعة الله مُنزل القرآن ، والدليل فى سنة الرسول صاحب الهجرة ، والسبيل ما سلكه السلف الصالح فأوفى بهم على الغاية

والرجاء فى مولانا الفاروق أعزّ الله ملكه أن يبنى إصلاح الأمة على قواعد الدين ، وأن يُجرى قضاء الحكومة على شريعة الله ، فهو بما آتاه الله من العلم والحكمة والسلطان أحق بأن يبدأ للأمة الإسلامية هذا التاريخ الجديد

أسأل الله ولى المؤمنين وأحكم الحاكمين أن يسدّد خطانا فى الطريق المستقيم ، وأن يكشف عنا وعن الناس هذا الكرب العظيم

محمد مصطفى المراغى